إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

الصليب الموجه

(١٢: ٣٢)

تأليف: بروس مكلارتي

مذكرة المؤلف: *كان الاسبوع الثالث من أبريل سنة ١٩٩٥م واحداً من الأوقات التي تبدو وكأن نهاية العالم تقترب. في صباح يوم الاثنين من ذلك الأسبوع ذهب أحد اصدقائي لإجراء فحوصات طبية بالمستشفي المحلية بسبب ما كان يشعر به منذ الاسبوع السابق. كان متفائلاً من نتائج الفحوصات. ولكن في ظهر ذلك اليوم أخبره الطبيب بان وضعه كان خطيرا. نقلته بعد ذلك عربة اسعاف إلى مستشفى رئيسي بعاصمة الولاية يبعد مسافة خمسون ميلا لإجراء عملية جراحية في القلب!، وفي مساء ذلك اليوم كان أحد الشيوخ بكنيستنا يلعب الكرة عندما أصابته ضربة قوية بالكرة في عينه، نُقل على اثرها إلى المستشفى ولم يعد يبصر نهائياً في تلك العين. وفي تلك الليلة تم اختطاف فتاة طالبة مسيحية في الجامعة المحلية من موقف سيارات أمام المتجر. وقام أصدقاء وصديقات تلك الفتاة والعاملون بالجامعة ورجال الشرطة بالبحث المكثف عنها. وفي وقت متأخر من ظهر يوم الثلاثاء، وصل خبر مؤلم بان جثتها قد وجدت في صندوق سيارتها المتروكة على حافة طريق ريفي. قد تكون مثل هذه الجرائم عادية في المدن الكبيرة، ولكنها نادرة الحدوث في مدينتنا. وفي اليوم التالي قُدمت صلاة تذكارية خاصة بقاعة الصلاة بالجامعة. ملأت القاعة بالطلبة والطالبات في صمت تام، وخرجوا بعد نصف ساعة بقلوب منسحقة وعيون مدمعة.*

فخرجتُ أنا أيضاً من قاعة العبادة إلى مكتبي، وما ان جلستُ حتى جاء إليّ شخص يخبرني بان مبنى الحكومة بمدينة أوكلوهوما قدتم تفجيره، ويحتمل ان اكثر من مئتي شخص قد لقوا مصرعهم! ماذا يمكن ان يحدث اسوأ مما حدث في هذه الأيام الثلاثة؟ أو ما الذي سيحدث بعد ذلك؟

بينما كنا نجهد انفسنا لايجاد تفسير لهذه المآسي، بدأ عقلي يتحول نحو التفكير في يوم الأحد المقبل. ما الذي يمكن ان يقال بعد اسبوع مثل هذا؟ فان الأخبار المأساوية التي سمعناها خلال الأيام السبعة الماضية قد أصابتنا بالارتباك. ما الذي تحتاج الكنيسة إلى سماعه في مثل هذا الوقت؟ كنت قد قضيت ستة وعشرون اسبوعاً في سلسلة الدروس التي أعطيها من إنجيل يوحنا. فهل استمر في إنجيل يوحنا أم أتحدث عن أحداث الاسبوع الخطيرة؟ فقررت بخشوع ان أقود الكنيسة في يوم الأحد إلى الـ« عودة » إلى صليب المسيح.

نجتمع معاً في أيام الآحاد ونحن بمختلف الاحاسيس. نأتي أحياناً ونحن نشعر بانه ينبغي علينا أن نأتي. ونأتي أحياناً أخرى لأننا نريد ان نكون معاً. وقد أتينا في يوم الأحد هذا بصفة خاصة لأننا **نحتاج** ان نكون هنا بسبب الأحداث التي وقعت الأسبوع الماضي. علينا ان نعزي بعضنا البعض، متذكرين ما هو الشيء الذي

يدوم في هذا العالم. نحتاج إلى العشاء الرباني أكثر من احتياجنا له في معظم أيام الأحاد.

نحتاج إلى هذا العشاء لأن هناك شيء عن الصليب يوجهنا مرى أخرى ويدعونا لذكراه. تركنا الاسبوع الماضي مصابين بالدوار كالأطفال الذين كانوا يدورون. ونحن كأطفال مصابين بالدوران ننظر ونرى العالم كله يتحرك حولنا بسرعة فنبدأ بفقدان توازننا. في مثل هذه الأوقات، نمد أيدينا لنمسك بشيء – شيء قوي وثابت. نضع ذراعنا حوله ونمسكه بتحكم حتى تكف رؤسنا عن الدوران ونستطيع الوقوف مرة أخرى على أقدامنا. اليوم وبعد كل ما حدث في الأيام السبعة الأخيرة، نجد أنفسنا متعلقين بالصليب.

عندما أمرض أفقد الحس بالوقت واحس بالارتباك. أتذكر المرات التي كان عليّ ان أبقى فيها في البيت حتى الشفاء من مرض ما. وعندما أبدأ في استعادة صحتي، أقول: « لا أدري أي يوم هذا. أعتقد انه يتطلب مرور يوم أحد حتى اعود على راس عملي ». هذا ما نشعر به اليوم عند أجتماعنا معاً بعد اسبوع مربك.

قضى اسكندر سولزهنيتزين كاتب روسي ثمان سنوات في مخيم اشغال شاقة للسجناء. وفي أحد الأيام تلاشى أمله واستعد لأن يتخلى عن الحياة. كان مريضاً ومرهقاً ومثبط العزيمة. وبينما كان سولزهنيتزين يعمل بالمجرفة، توقف عن العمل وسار نحو مقعد خشبي وجلس عليه منتظرا ان يراه الحارس هناك. كان يعرف بان الحارس كان سيأخذ المجرفة ويضربه بها حتى الموت. لكن في ذلك اليوم رآه شخصا آخر غير الحارس جالساً هناك. رجل هرم، ومحدب، و ذو ملامح صلبة. تقدم إليه وجلس الى جانبه، ورسم بالعصى التي كانت في يده صليباً على الأرض عند قدمي سولزهنيتزين. فتركه اليأس، وامتلأت نفسه بالحق، وعادت اليه الشجاعة، ونبط قلبه ثانية بالشوق إلى الحياة. فاستند وأخذ المجرفة بيديه وتابع عمله. وبعد سنوات الهمت كتاباته الملايين من الناس. صليب مرسوم على الأرض فقط عاد لسولزهنيتزين الحيوية وانقذ حياته. هذه هي قوة الصليب الملهمة والموجهة التي نطلبها اليوم.

تدعونا الأسفار المقدسة خلال العهد الجديد بالعودة إلى الصليب. سواء كانت الكنيسة تواجه تحدي جديد، أو مسائل مثيرة للارتباك، أو أزمة شديدة، يقول الكُتّاب الموحى إليهم: « أنظروا إلى الصليب! » عندما نري كيف فعلوا هذا في بعض الحالات قبل حوالي ألالفي سنة نتذكر بان الصليب نفسه يساعدنا في كل ما نواجهه اليوم.

الحل للإنقسام

مثالاً على الكيفية التي يرشد بها الصليب الكنيسة خلال العواصف الهوجاء يظهر في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس. بعد ما مكث وقتاً مع تلك الكنيسة في بدايتها كان لبولس شعور خاص جدا نحوها. ولكن وفي الوقت نفسه، كان قلقاً بسبب الجدل الكثير والمشاحنات التي كانت تقسم الكنيسة. في مقدمة رسالته توسل إليهم لكي يتوحدوا:

> ولكنني أطلب إليكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً ولا يكون بينكم انشقاق بل كونوا كاملين في فكر واحد ورأي واحد. لأني أُخبرتُ عنكم يا إخوتي من أهل خلوي أن بينكم خصومات (١ كور ١: ١٠ و١١).

ما هو الحل لمثل هذه المشكلة؟ قال بولس بان الحل كان الصليب!

> ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً ... (١ كور ١: ٢٣).

> لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً (١ كور ٢:٢)

قال لهم بولس بما مضمونه: « أنظروا إلى الصليب وستجدون طريقة للتغلب على الإنقسام ».

الحل للأوجاع

مثال اخر على الكيفية التي يرشد بها الصليب الكنيسة خلال الأزمنة الصعبة يظهر

في رسالة بطرس الأولى. تم كتابة هذه الرسالة في سياق الاضطهاد، عندما كان المسيحيون يعانون من أجل إيمانهم. أين يمكن ان يتجه المسيحيون للتعزية في أوقات المحن؟ قال بطرس ان يتجهوا نحو الصليب!

> لأنكم لهذا دعيتم فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عِوَضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بَل يسلم لمن يقضي بعدل. الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذي بجلدته شفيتم (١ بطرس ٢: ٢١-٢٤).

كان بطرس يقول ما بمضمونه: « أنظروا إلى الصليب وستجدون طريقة للتعامل مع آلامكم ».

الحل للضلالة

هناك مثالاً ثالثاً على الطريقة التي يرشد بها الصليب المسيحيين عندما تحل بهم المحن كما في الرسالة إلى أهل غلاطية، ربما تكون هذه أقدم كتابة في العهد الجديد بكامله. كُتبت الرسالة إلى أهل غلاطية لمواجة {مشكلة} التقييد المفرط بالناموس الذي كان يهدد الكنائس الجديدة التي ساعد بولس على تأسيسها أثناء رحلته التبشيرية الأولى. تابع المعلمون الكذبة بولس في رحلته وكانوا يعلمون بان العمل بناموس موسى هو ضروريا للمسيحيين لكي يخلصوا. أعتبر بولس هذا كذباً هدد مصير الكنيسة نفسها. اين يمكن للمسيحيين ان يتجهوا للمساعدة عند التعامل مع المعلمين الكذبة وتعاليمهم الكاذبة؟ قال بولس بانهم يجب أن يتجهوا إلى الصليب!

> ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا ولكن الناموس ليس من الإيمان بل الذي يفعلها سيحيا بها. المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلِق على خشبة (غلاطية ٣: ١١-١٣).

كان بولس يقول لأهل غلاطية ما بمضمونه: « أنظروا إلى الصليب وستعرفون كيف تمتحنوا الأفكار المثيرة للانقسام والارتباك ».

الخلاصة

تلتقي هنا دراستنا لإنجيل يوحنا مع الفكرة الرئيسية لهذا اليوم. صرح يسوع قائلاً: « وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليّ الجميع » (يوحنا ١٢: ٣٢). يجذب الصليب قلوبنا نحو مخلصنا العجيب الذي مات لأجلنا.

حكى الكاتب بيل بريدجووتر كيف كان يغلبه ولدا مشاغبا عندما كان طفلا. وفي أحد الأيام أخذ منه الولد المشاغب خاتماً خاص كان قد أُعطيَ له بمناسبة عيد ميلاده. وكان بيل كل يوم يطلب خاتمه، وكان الولد المشاغب يقول له بانه سوف يعطيه اياه إذا سمح له بيل بضربه على كتفه بكل قوته. وكان بيل يتركه دون ان يأخذ الخاتم خوفاً من الأذى وهو يشعر بالإذلال. وفي أحد الأيام قال لاري دافيس صديق بيل الحميم للولد بانه سيتحمل الضربة. فلكم الولد المشاغب لاري واعاد لبيل خاتمه.

عندما كان بيل يستعيد ذكريات الطفولة كتب ما يلي: « لست أعلم عن مصير ذلك الخاتم، ولكني لن أنسى أبداً ما فعله لاري لأجلي عندما تحمل كل ذلك الضرب عني ».

يساعد صليب المسيح اليوم في استعادة وعينا بعد اسبوع مسبب للارتباك. انه يرينا كيف نواجه تحديات جديدة ومسببة للضيق. يمسك قلوبنا ويجذبنا إلى الله مرة أخرى.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧